نشأة وتطور العمل الاجتماعي (الخدمة الاجتماعية)

عرف الإنسان الرعاية الاجتماعية منذ أن عرف الاستقرار والتجمع، ويرتبط بظهور التفكير الاجتماعي الذي وضع في الفكر المصري القديم وكذلك في الفكر الصيني والهندي، قبل أن يظهر التفكير الاجتماعي عند فلاسفة اليونان القدامى. ويمكن القول بأن أهم الاتجاهات التي كان ينصب حولها التفكير الاجتماعي القديم، يمكن تلخيصها في ثلاثة اتجاهات رئيسية: منها اعتبار الدين عامل أساسي في التفكير الاجتماعي القديم، ومنها ظهور اليوتوبيات كفكرة مثالية يريد بها المفكر أن يصل بمجتمعه الذي يعيش فيه إلى المدن الفاضلة، ثم البحث عن أخلاقيات تنظيم السلوك الإنساني لتجعله متجها إلى الفضيلة وبعيدا عن الشرور.

وهذه الاتجاهات التي حددت ملامح التفكير الاجتماعي القديم، والذي جعل الاهتمام بالمرضى والمعوقين يأخذ مكانا متميزا بين مختلف الاهتمامات المجتمعية الأخرى، التي تتناول مختلف نواحي الحياة، وكان هذا الاهتمام في مجموعه رعاية للمرضى والمعوقين، واتخذ صورا شتى سواء كان بالمغالاة في العطاء والخدمات لهم أو تقربا من المعبود وكان للدوافع الإنسانية والدينية دور كبير في حث الأفراد على مساعدة الضعفاء والعجزة والفقراء، فعرفت على أنها واجب إنساني حثت عليه الأديان، وعمل بها الإنسان لمساعدة أخيه الإنسان.

والرعاية الاجتماعية تمثل بحق البذور الأولى للخدمة الاجتماعية، إذ ان الخدمة الاجتماعية كمهنة لم تمارس بشكل متخصص إلا في بداية القرن العشرين فهي مهنة حديثة غير ان جذورها تمتد إلى آفاق بعيدة فقد تطورت المهنة عن تلك الأنشطة الخاصة بالرعاية الاجتماعية.

ونظرا لاختلاف مفهوم وأساليب العمل الاجتماعي (الخدمة الاجتماعية) عبر العصور، فسنعرض الخدمة الاجتماعية في العصور القديمة والوسطى والحديثة.

2-1-العمل الاجتماعي(الخدمة الاجتماعية)في العصور القديمة: تباينت الاهتمامات المجتمعة بالمرضى والمعوقين عبر التاريخ بين الرعاية الإيجابية وبين المعاملة الشاذة، فقد ذكرت كتب التاريخ أن منفتاح الأول (حوالي **1200 ق م**) قام بعزل آلاف المجذومين من بني إسرائيل في محاجر طرة، ثم أسكنهم بعد ذلك في مدينة تانيس بشمال شرق الدلتا وكانت المدينة خالية بعد طرد الهكسوس منها، ويقال أن استفحال المرضى بين بني إسرائيل كان من الأسباب التي دفعت الفراعنة إلى طرد اليهود من مصر، وسنعرض الآن صور الخدمات الاجتماعية في المجتمعات التالية:

2-1-1- **العمل الاجتماعي(الخدمة الاجتماعية)عند المصريين:** عاشت مصر الفرعونية معظم فترات تاريخها يحكمها فرعون ينظر اليه على انه ألله سليل آلهة امتد سلطانه وجبروته ليشمل البلاد طولها وعرضها، وكانت الثورة ضده تعنى المروق عن الدين والآلهة المعبودة، وكانت الديانات المصرية القديمة على اختلاف أنواعها تؤكد مثل هذا الزعم، كما ان سلطان الدين كان عظيما على شعب مصر الذي كانت الغالبية العظمى منه تعمل بالزراعة وكان لرجال الدين مكانة سامية في المجتمع الفرعوني، كما ان الجزء الأكبر من الشعب يعيش البؤس والفقر وساعد على ذلك المساحة الشاسعة التي كان سكان مصر يعملون فيها بالزراعة، ومن ثم أدت إلى تبعثرهم وصعوبة وجود نوع من الاتصال الفعال بين فلاحي مصر خاصة وان النواحي المتعلقة بالتقدم التكنولوجي كانت بدائية في ذلك الوقت.

كما كان فرعون الإله يملك كل أسباب الرزق فكان له حق تملك غالبية الأراضي الزراعية وكان يهب جنوده وموظفيه بعض الأراضي لاستغلالها دون ان يكون لهم الحق في ملكيتها.

بالإضافة الى ذلك كان الفلاح يساق للسخرة في بناء المعابد والمقابر والاهرام وينتزع من ارضه انتزاعا في غير مواسم الزراعة ويعود لأرضه في موسم الزراعة عندما تغمر مياه النيل الأراضي ليعمل لغيره من جديد.

ان تلك النظرة السريعة للظروف التي سادت مصر الفرعونية توحي لنا بأن الطبقات الحاكمة المستغلة لم تكن تقدم خدمات للطبقات الكادحة بل انهم كانوا دائما يشعرون هذه الطبقات الكادحة بأنهم مصدر نعمتهم.

وبالرغم من ذلك نرى وجود بعض أنواع الرعاية الاجتماعية الحكومية والاهلية على درجة بسيطة من التطور بالإضافة إلى مظاهر الاحسان القائمة.

لا شك أنه كان لآثار قدماء المصريين الفضل الأكبر في معرفة ما كانوا يقومون به من خدمات اجتماعية كانت تؤدى للشعب منذ آلاف السنين، ولقد كان التعاون أساس المجتمع المصري القديم، حيث ظهرت معاملة واضحة في تكوين القرى وحمايتها من خطر الفيضانات وفي نظم الزراعة والري وبناء المساكن وفي نقل المؤن والحاجات الضرورية –وكان كل ذلك يتم بمجهود الجماعة وتضامنها مما ساهم في تكوين مجتمع سليم يحرص على راحة أفراده وأمنهم وهذا يتمثل في:

مظاهر الإحسان: ويتضح ذلك من الصور والرسوم المنقوشة على الجدران معابد قدماء المصريين وقبورهم، وكان ذلك يتم عن طريق الدولة، فكان رئيس البلاد يرأس الحفلات التي تجمع فيها التبرعات وتوزع على الفقراء والمحتاجين كما كان بمثابة الكافل لمن لا أم له والملجأ لليتيم والعون للشيخ (المسن) والمعين الثابت لكل محتاج. ويتجلى ذلك وضوحا في لوحة وجدت في قبر إمنحنت الثالث جاء فيها "لقد أعطيت الخبز للجائع وسمحت لمن لا يستطيع عبور النيل أن يستعمل قاربي، وكنت أبا لليتيم وزوجا للأرملة وواقيا لمن يعاني الفقر ".

كما كانت المعابد بمعظمها تستعمل كمراكز للبر والإحسان بجانب تلقين العلوم والفنون والآداب، وكان بعضها يستعمل كملاجئ للعجزة والمقعدين والمرضى حتى مرض العقول فقد تسامت فلسفة قدماء المصريين على المبدأ القائل: "البقاء للأصلح " ولذا عزلوهم عن المجتمع ومنحوهم حق الحياة ومدوهم بالغذاء والإمكانيات المريحة والعناية الخاصة حتى تقضي الآلهة فيهم شأنها للتكفير عن الذنوب إذا كانوا يعتقدون أن المجنون لا بد أنه أخطأ في حق الآلهة.

مظاهر رعاية الأسرة: كان قدماء المصريين أكثر الناس اعتزازا بالأسرة وتكوينها وتوطيد علاقاتها وروابطها، وتدل الآثار على ما كان للأسرة من مكانة عندهم (مركز ممتاز لرب الأسرة كذلك للمرأة فكان لها الحق في ممارسة نواحي النشاط المختلفة من تجارة وزراعة بجانب رعايتها للأسرة).

مظاهر الترويح: عني الفراعنة بإنشاء الحدائق العامة للأطفال كما عنوا بالألعاب الرياضية (ألعاب الحكشة "الهوكي" الباسبول، كرة المضرب والكرة والصولجان "البولو"، الفروسية، السباحة، الصيد والرماية، إضافة إلى الموسيقى والغناء والفنون الجميلة. ..الخ).

مظاهر رعاية العمال: وهذا يتمثل في تحسين حالة العمال لجهة سد حاجاتهم، وتبين لوحات رمسيس الثاني حرصه على توفير الطعام لعماله وإقامتهم في مكان صحي نظيف وتبريد مياه الشرب وتوفير الأحذية والملابس والعطور.

مظاهر تنسيق الخدمات: ويتمثل بإحصاء معابد الرعاية وأماكنها والأموال الخيرية المخصصة لها. وهذا النظام هو أقرب ما يكون إلى فكرة سجل تبادل المعلومات الذي يعتبر من أحدث النظم في تنسيق المجتمع.

نظام الحكم: كان نظام الحكم عند المصريين القدماء لا مركزي حيث كانت كل ولاية تختص بالحكومة الإقليمية أو البلدية ويديرها حاكم أو مدير مكلف برعاية شؤونها، ويعتبر ذلك نظاما ديمقراطيا وهذا يدل على استقرار مجتمعهم في ظل حضارة عتيدة.

رعاية الجنود: كان الجندي الفرعوني محاربا شجاعا، فقد سار على قدميه من ضفاف النيل حتى بلاد ما بين النهرين محرزا الانتصارات مؤكدا مهارته في المعارك تاركا وراءه في ميادين القتال كل ما يثبت حسن تصرفه وتدريبه.

وفي الفترة التي أنشأت ابانها مصر أول امبراطورية في التاريخ بفضل كفاءة أبنائها بدأت الدولة تهتم بجنودها فقد وهبت الأراضي الزراعية للمحاربين كما اعفيت هذه الأراضي من الضرائب، واشترط لاستغلالها ام يكون مالكها على أكمل وجه ليقوم بواجبه العسكري كلما دعت الضرورةللدفاع عن الوطن وإذا حدث وان أصبح مالك هذه الأراضي غير قادر على حمل السلاح فإن ابنه يرث الأرض من بعده عليه حمل السلاح بدلا من ابيه، وإذا لم يوجد في الاسرة ذكر قادر على حمل السلاح فإن الأرض تعود ثانية إلى ملكية فرعون ويعطيها لقادر على حمل السلاح بمسئوليات الحرب.

الرعاية الاجتماعية للمسنين: أنشأ الفراعنة ملاجئ الشيوخ والعجزة –كما كان موظفي البلاد الذين يبلغون سن الشيخوخة وأصبحوا غير قادرين على العمل يلحقون بأعمال تتناسب مع سنهم أو عجزهم أو ينفق عليهم حتى وفاتهم.

وكان الموظف الكبير المحال على المعاش يعين مديرا لأملاك فرعون، أو مدير أملاك لإحدى سيدات البيت المالك وبذلك يصبح في يده وظيفة تشعره بالثقة وأحيانا كان يعين الواحد منهم مديرا لأملاك المعبد ومن مثل هذه المراكز كانت الحكومة تضمن للموظف المتقاعد دخلا يساعده على تحمل الحياة، أما المسنين العاديين فقد كانوا يعيشون في رعاية اسرهم نتيجة لتماسك الاسرة المصرية القديمة في ذلك الحين، إذ كان الشيوخ في المجتمع المصري الزراعي القديم مكانة اجتماعية عالية لما لهم من خبرات عديدة في شؤون الحياة.

الرعاية الطبية: ظهر الطب أول الامر متمشيا مع السحر، لذلك ارتبط بالكهنة في بدايته واحيط بجو من السرية ثم لم يلبث ان انتشر واخذ يدرس خارج المعابد في مدارس خاصة لإعداد الأطباء المتخصصون الذين ذاع صيتهم في ذلك العصر وكان الملوك والعظماء والأمراء في البلاد الأخرى يستدعونهم لعلاجهم لما لهم من خبرة ومهارة.

وتؤكد البرديتان التي تم العثور عليها وهي برية "ادوين سميث" الجراحية التي عثر عليها في طيبة، وبردية أ ، س " من القرن الخامس عشر قبل الميلاد" التي تخصص المصريين القدماء في ممارسة الطب وميزت البرديتان بين الجراح و الطبيب المعالج بالسحر والطبيب الباطني الذي يستخدم النبات في العلاج، كما تشير البرديتان إلى أن هؤلاء الأطباء يعملون، أما في الجيش أو لعلاج الشعب وكذلك لعلاج الاسرة الحاكمة في القصور الملكية، كما أشارتا إلى أن هناك أطباء متخصصون في الرمد و أمراض الاسنان والتحنيط وامراض الحيوان.

هذا من ناحية الأطباء المتخصصون، من ناحية أخرى شرعت بعض القواعد الخاصة بالصحة العامة كتحريم تناول بعض الأطعمة واللحوم كلحم الخنزير والبجع والصوم لفترة من الزمان.

كما كانت المعابد تتخذ كمكان لعلاج المرضى وأنشات أماكن أخرى للعلاج شبيهة بالمستشفيات الحالية.

الرعاية التعليمية: هناك بعض الإشارات تدل على وجود بعض المدارس، وخاصة في الألقاب التي تركتها لنا الدولة القديمة، ففي مقبرة تلك الدولة وجد لقب " معلم أولاد الملك"، ووجدت بعض المدارس في ذلك الوقت كانت تسمى الحياة وكانت ملحقة بالمعابد وربما كان التلاميذ يتلقون بها تعليما ابتدائيا، وكان يدرس في أماكن أخرى الهيروغليفية والفنون.

كما أنه كانت توجد مراحل تعليم متعددة، فكان يسمح بدخول المرحلة الأولى للتعليم، بينما كانت المراحل التالية مقصورة على أبناء الأشراف وتمارس في معابد المدن الكبرى التي تخرج فئة الكتاب الذين يعملون بعد ذلك في البلاط الملكي.

كما كانت لغة الكتابة السائدة في مصر القديمة هي اللغة الهيروغليفية أي الحروف المقدسة وكانت تتكون من علامات وصور مختلفة لحيوانات ونباتات ولكل صورة معنى أو أكثر.

كذلك كان فرعون يربي في قصره الملكي أطفالا من أبناء الشعب يطلق عليهم أطفال بيت فرعون وكانوا يدرسون الرياضة والرماية والقتال ثم عندما يكبرون يصبحون ضباط ميدان.

كما كانت المعابد في ذلك الحين تساهم أيضا في تقديم أوجه الرعاية التعليمية فقد كان يلحق بالمعبد مدرسة يتعلم فيها الشباب الرسم والحفر ونحت التماثيل، كما كانت بالمعبد كلية تحتوي على المخطوطات الدينية والأخلاقية.

من هذا العرض الموجز للرعاية الاجتماعية بمصر الفرعونية نجد انه كان هناك تمايز طبقي، ولم تكن الدولة كجهاز تقزم برعاية اجتماعية منظمة واسعة النطاق كما نعرفها اليوم، وكان الاحسان هو الطابع الغالب على أنشطة الرعاية الاجتماعية إذ كان لرجال الدين دور هام في الاحسان، كما تناولت الرعاية الاجتماعية بعض المجالات مثل العناية بالمرضى والمسنين والجنود وكذلك الرعاية التعليمية.

-1-2- العمل الاجتماعي (الخدمة الاجتماعية)عند اليونان: وقد انتشرت المدن اليونانية في مناطق جبلية اشتهرت بقلة الإنتاج مما أدى إلى هجرة كثير من السكان خارج بلادهم واتخاذ الحرب وسيلة لكسب الرزق واحتراف القرصنة وقد حتمت الظروف الطبيعية على اليوناني القديم الاقتصاد التام في حياته اليومية فهو لا يأكل اللحم إلا في الأعياد وكانت وجبته عادة تتكون من الخبز وبعض الفاكهة المجففة والسمك.

وكانت لكل مدينة فلسفة وسياسة خاصة، فقد كان اتجاه أسبرطة مثلا يؤكد على انه ينبغي ان يمتلك كل مواطن قطعة ارض تسد حاجته حتى يستطيع القيام بواجباته كمواطن.

عند النظر إلى اليونان القدامى ونسقهم الاجتماعي فهناك أسلوب شاذ يساير فلسفتهم في النظر إلى الحياة، فقوانين "**ديكورجوس**" الاسبرطي و"**سلون**" الأثيني كانت تسمح بالتخلص بمن بهم نقص جسمي، كما أعلن أفلاطون وأرسطو وطاليس موافقتهما على هذا العمل، وكانت السلال تباع علنا في أسواق اسبرطة وأثينا ليوضع فيها الصغار المشوهين خارج المدينة إهلاكا لهم.

أما المريض العقلي أو النفسي فقد عرفه الإنسان منذ القديم، وعرفه اليونان عندما وضع "أبيوقراط" (400 ق.م) نظريته عن الأمزجة الأربعة للإنسان، وجاء في كتاب الجمهورية لأفلاطون نصيحة بألا يظهر أي مصاب بمرض عقلي في طرقات المدينة، بل يقوم أقاربه بملاحظته في المنزل بقدر إمكانهم ومعرفتهم، ويتعرضون لغرامة مالية إذا أهملوا في أداء هذا الواجب.

كما كان لتربية الأطفال منذ ولادتهم إلى أن يصيروا جنودا للدولة نظاما متبعا– فعندما يولد الطفل يتعين أن يخطر ولاة الأمور فيؤخذ الطفل امام جماعة من الشيوخ وهؤلاء يقررون مصير الطفل، فإذا كان صحيح البدن أعطى لوالدته لتربيته وتنشئته حتى السابعة، أما إذا كان ضعيف البنية أمر الشيوخ بتعريض الطفل للبرد والجوع حتى الموت وعندما يبلغ الطفل السليم سن السابعة يؤخذ من والديه ويوضع في أماكن معدة لأمثاله وهناك يدرب هؤلاء الأطفال على الجري والقفز والمصارعة والحركات العسكرية . ونتيجة هذه التربية ينشأ الأفراد أقوياء الجسم يصبرون على الجوع ويتحملون المشاق والشدائد.

اما طبقات الشعب اليوناني فقد كان اعلاها هي طبقة النبلاء الذين كانوا يملكون الأراضي، كما كان بيدهم إقامة الشعائر الدينية وإدارة أعمال الدولة ثم طبقة الفلاحين وطبقة العمال.

وكان النبلاء يحكمون في القضايا التي تعرض عليهم وفقا لمجموعة من الاحكام يتناقلونها شفاهة فتظلم العامة من النبلاء الذين يحكمون عليهم وفق أهوائهم الشخصية وفي صالح أفراد طبقتهم دائما، وكان أكثر ما يشكونه العامة هو قانون الديون، فقد كان الفلاحون يقترضون من الأغنياء ما يحتاجون إليه من مال بأرباح فاحشة، وللحصول على القرض كانوا يرهنون ما يملكون من ارض لضمان السداد وكانت العادة في مثل الحالات ان تقام أعمدة حول قطعة الأرض المرهونة لتوكن شاهدا على ان المالك مدين، وكانت قيمة الدين واسم الدائن تحفر على تلك الاعمدة، ولما كانت الأرباح فاحشة كان مبلغ الدين يزداد جسامة كل سنة الامر الذي جعل الفلاح يفقد كل امل في قدرته على السداد واصبح مركزه كمركز الفلاح الاجير الذي يقوم بالعمل في قطعة الأرض، كان في وقت ما مالكا لها.

ومن ناحية أخرى كان المدين الذي لا يملك ارضا ولم يكن في استطاعته تسديد ما عليه من ديون في حالة أكثر سوءا لأنه يصبح في الواقع عبدا لدائنه الذي منحه القانون الحق في بيعه وبيع نسائه وأطفاله، ونتيجة لذلك كان الفلاحون الأجراء على وشك الانقراض فبعضهم كان يباع في أسواق النخاسة في الخارج والبعض الآخر كان عليه إما العمل في الحقول كالعبيد أو الكفاح ضد الفاقة والعوز.

بالرغم من هذه الحالة السيئة التي كان يعيشها الشعب اليوناني القديم إلا أنه قد ظهرت بعض أوجه الرعاية الاجتماعية التي كانت تنصب على مساعدة المحرومين ومساعدة أفراد المجتمع خاصة في أوقات الطوارئ والكوارث عندما كانوا يصابون بالمجاعات والسيول، كما كان أهل جزيرة كريت يقدمون الوجبات العامة للجميع من الخزانة العامة. وكانت أثينا تحرر الشعب من الاحكام التي توقع عليهم نتيجة للديون وكانت تعيد توزيع الأرض لتخفيف حدة الفقر... ومع ذلك لم تكن هناك سياسة ثابتة منظمة لتحسين أحوال الشعب وكان الأمر يقوم دائما على نوع من الكرم والسخاء من قبل خزانة الدولة، أو على اجراء استثنائي لإعانة عندما تتأزم الحالة وتسود روح السخط والثورة بين المنكوبين.

وعموما فقد تميزت الفلسفة اليونانية بصفة القوة، إذ لم تكن تعرف الشفقة، غير أن ذلك لم يمنع من وجود بعض الخيرين الذين كانوا يساعدون العبيد، وبصفة عامة تميزت العصور الأولى من تاريخ اليونان بالفقر، وعندما ظهرت المدن أدت إلى تفكك الروابط العائلية، وجعلت من الجيران غرباء، وبالتالي اضطرت الدولة إلى التدخل للعناية بأفراد المجتمع، ومن أمثلة ذلك وجود مأوى للفقراء بمدينة أثينا وكانت هذه المآوي تسمى بالمنازل، كما كانت الدولة تقوم بتعليم أيتام الحرب رغم أن هذه الخدمة الاجتماعية كانت تقدمها الدولة لأهداف سياسية.

2-1-3-الخدمة الاجتماعية عند الرومان: أدت الظروف المكانية إلى جعل سكان روما ينقسمون إلى قسمين هما جماعة الاشراف وكانوا يسكنون التلال وعامة الشعب وهم أنواع ملحقون بالأشراف لا حقوق ولهم ولا كيان، الأمر الذي أدى في كثير من الأحيان إلى الخلاف والنزاع بين الأشراف وطبقة العامة، وفي بداية الأمر كانت طبقة الأشراف لها الكفة الراجحة وباستطاعتها التحكم في مصائر الأمور وتستطيع أن تفرض إرادتها على العناصر الأخرى في روما بحكم تملكها معظم الأراضي الخصبة وبفضل المعرفة والخبرة والمهارة الحربية التي توارثوها حيث كان الفراغ الطويل يمكنهم من أن ينهلوا من المعرفة والبحث، أما العامة فلا يستطيعون أن ينشغلوا بالعلم لانشغالهم بالسعي وراء الرزق والقوت.

وقد استمر الكفاح بين الاشراف والعامة من أجل المساواة بين الطبقيتين وكانت أغلبية الوظائف قاصرة على الاشراف ولا يجوز للعامة أن يصلوا إليها.

وكانت أهم القضايا التي تشغل العامة هي التفرقة في الحياة الاجتماعية والزواج والوظيفة، ولما كان العامة يقدمون دماءهم للدولة أثناء الحروب فقد شجعهم هذا على المطالبة بالمساواة واعلنوا الثورة على قانون الديون، فالدائن يباح له أن يستولى على شخص المدين ويزج به في السجن إلى أن يفي ما حصل عليه من ديون، كما كافح العامة من أجل تدوين القوانين حتى لا تصدر الأحكام بصورة شفوية ولم تهدأ إلا بعد أن حققوا برنامجا اقتصاديا واجتماعيا أهم ما يميزه عدم التفرقة في الزواج والسماح للأمور أن تجري على طبيعتها دون إقامة عراقيل في وجه العامة إذا ما تراءى لهم الزواج من الاشراف، كما أصدرت القوانين التي تسمح للعامة بتولي الوظائف العديدة واستقر الرأي على انه يمكن للعامة ان يتقدموا لمناصب القناصل.

وبالرغم من ذلك فقد كانت المجاعات القاتلة تصيب روما ويموت الرجال والنساء والأطفال والشيوخ من الجوع بالمئات، ومن يبقى حيا كان يطلب معونة مجلس الشيوخ في وهن وضعف، وكان مجلس الشيوخ يعين مندوبا للأسواق يبذل جهده لإغاثة الشعب ويقوم بشراء كميات ضخمة من الحبوب من البلاد الأخرى ويبيعها للناس بأثمان زهيدة، كما كان العبيد يباعون مقابل إي كمية من الطعام يمكن الحصول عليها.

قام المجتمع الروماني على أساس حكم الأشراف وتمليكهم الأراضي الزراعية دون سائر الشعب، وكانت الدولة تعتقد سلامتها متوقفة على سلامة أفرادها وقوة أجسامهم ومهاراتهم الحربية ولذلك كانت السياسة العامة للخدمات التي تقدم للشعب ترسم على هذا الأساس، فكان القانون يخول الأهل التخلص من أبنائهم الضعفاء حيث كان المبدأ القائم هو "البقاء للأصلح"، وانتشرت بذلك عادة قتل الأطفال الضعفاء بتعريضهم للهلاك في الجبال.

وفي روما ظل الناس أجيالا عديدة يغرقون الأطفال غير مكتملي النمو في نهر النيبر، علما أن الرواقيين الذين أثرت فلسفتهم على التفكير الروماني، كانوا يمثلون انسجاما آخر يربط بين الخير وبين حسن معاملة المرضى والمعوقين.

وبالرغم من ذلك نجد أن هناك خدمات كانت تأتي من الأغنياء على سبيل هبات يقدم فيها الطعام لأفراد الشعب جميعا، كما أن تغيب الرجال في الحروب التي قامت بها الدولة الرومانية اضطر أولي الأمر فيها لرعاية عائلات هؤلاء المحاربين وكفالتهم، وكان إلى جانب ذلك أمور مشينة بحق الإنسان (العبد)، حيث كانت تسلية الأغنياء تتم عن طريق نهش الحيوانات للآدميين من العبيد بمدرجات الله، ومما اضطر بعض الحكام المصلحين فيما بعد بسن التشريعات التي تحفظ حياة العبيد وتحرم على سادتهم إرسالهم إلى مدرجات اللهو.

وكانت الخدمة الاجتماعية تقدم أيضا بدوافع سياسية عند الرومان، غير أنها كانت أكثر تأثرا بالروح الشعبية مقارنة بالدولة اليونانية، حيث كانت الغلال والزيوت واللحم والخبز توزع شهريا على الفقراء.

وعندما كان يبلغ القحط مداه كان الأثرياء من غير النبلاء بدافع الرحمة والعطف على الفقراء الجائعين يوزعون القمح على الشعب دون مقابل وأحيانا يبيعونه بأثمان زهيدة.

بالرغم من ذلك نجد أنه قد ظهرت في تلك العصور بعض الاتجاهات الإنسانية التي كانت تنظر إلى هؤلاء نظرة عطف وحنان واشفاق وهز مشاعرهم سوء توزيع الأراضي واحتكارها في أيدي الأغنياء وحدهم بينما يعاني كثير من الجنود آلام الفاقة والحرمان بدلا من امتلاك جزء من الأرض التي حاربوا من أجلها.

كما كانت الدولة الرومانية القديمة توزع المساعدات على الفقراء والمعوزين وتساعد الأسر المنكوبة التي يذهب أفرادها ضحية للحروب أو الذين شوهتهم المعارك وأصبحوا عاجزين عن العمل، كما كانت المساعدات تقدم للرقيق والأسرى، ولم تكن هذه المساعدات تقدم بهدف الشعور بالمسئولية والرعاية الاجتماعية لفئات الشعب العاجزة بل لأن الدولة كانت تعتبر هذه الجماعات الفقيرة مصدر خطر على المجتمع الذي يعيشون فيه أي خوفا من شرورهم وتمردهم على السلطة القائمة.

2-1-4-الخدمة الاجتماعية عند اليهود: رأينا أن الخدمة الاجتماعية كانت موجودة منذ القدم وقبل ظهور الأديان السماوية ولكنها تتم بصورةفردية يقوم بها أشخاص مدفوعين بدافع الرحمة والعطف أو الشفقة، ولم تتخذ الرعاية الاجتماعية طريقا واضحا إلا عند نزول أولى الشرائع السماوية.

وأول الديانات المنزلة هي الديانة اليهودية، ومع أنها لم تنشر تماما كالدين المسيحي أو الإسلامي، إلا أنها جاءت بمبادئ كان لها أثرها الواضح في تغيير الاتجاه نحو الخير والقضاء على الشرور التي كانت سائدة منذ بدء التاريخ، لفساد النظم الاقتصادية والسياسية والطبقية التي كانت قائمة آنذاك.

يعتقد اليهود في "مملكة الله على الأرض" حيث تسود العدالة الربانية والحق الإلهي وكان ذلك الاعتقاد يستند إلى إن الله قد خلق الدنيا ومن ثم يجب أن تتسم الحياة على الأرض بطبيعة الإله الخالق لأن الخلق يحمل في طياته ذاتية الخالق وطبيعته. وتحث تلك العقيدة على وجوب تأسيس مملكة الله على الأرض المقامة على أسس من العدالة والحق، والحد من المظالم في كافة عصورها وقد وصفت تلك المملكة على أنها ترتكز على أعمدة ثلاثة رئيسية هي: الحق والعدل والسلام.

وكان المجتمع القائم على الاعتراف بحكم الله وسيادته على الأرض لا يعترف بأي قانون أو عمل أو سلوك خارج نطاق الدين، وأحكامه فكل قانون مقدس وكل سلوك يجب أن يتبع تعاليم الدين، فكانت القوانين التي تحمى الفقراء والضعفاء والغرباء مقدسة ويجب أن تتبع.

وتدعو الديانة اليهودية إلى الإيمان بأن الانسان فيه قبس من الله وعلى الإنسان أن يقوم بفعل الخير حتى يؤكد تلك الحقيقة الإلهية الكامنة فيه، كما كانت الديانة اليهودية تدعو إلى أن للإنسان في العالم الدنيوي دورا مقدسا في تكملة عملية الخلق على الأرض. فالله مستمر في عملية الخلق على الأرض ويقوم الانسان بدور بوحي من الله فإي تقدم إنساني

علمي أو اجتماعي ما هو إلا اسهام في تكميل عملية الخلق، فتنظيم العدالة الاجتماعية جزء من عمل مقدس وهو الاستمرار في عملية الخلق.

ورجوعا إلى مضمون بعض آيات التوراة التي نزلت على سيدنا موسى عليه السلام يمكن استخلاص –بإيجاز– بعض أهم مبادئ الدين اليهودي: في الاتحاد عماد الحياة الاجتماعية (الفرد يحب لجاره ما يحب لنفسه–حياة الفرد من أغلى شيء لديه وهي مرتبطة بحياة الجماعة فيجب المحافظة عليها ووقايتها من الشرور، ثروة الفرد ملك لله فيجب رعايتها وصرفها فيما يعود على الجماعة بالخير والرفاهية، وأن الفرد من صنع الله، فإذا كان الأفراد إخوة والعطف وحسن المعاملة واجبة على كل قادر، وهذه يجب أن تكون أساس الإحسان وهي أهم من المال نفسه).

وقد نزلت على موسى عليه السلام الوصايا العشر في الآيات التالية: "أذكر يوم السبت لتقديسه، ستة أيام عمل تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك لا تصنع فيه عملا أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك، أكرم أباك وأمك تطول أيامك على الأرض: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئا مما لقريبك.

ويحتوى العهد القديم على عدة نصوص تتعلق بالرعاية الاجتماعية نذكر منها على سبيل المثال:

* افتح يدك لأخيك المسكين والفقير في ارضك (سفر التثنية أصحاح 15 آية 10، 11)

* اقضوا للذليل واليتيم، انصفوا المسكين والبائس، نمو المسكين والفقير (مزامير: أصحاح 72آية 4)

*من يرحم الفقير يقرض الرب، وعن معرفة يجازيه.(أمثال: أصحاح 19آية 17)

*اليس أن تكسر للجائع خبزك، وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك إذا رأيت عريانا أن تكسوه، خينئذن ينفجر مثل الصبح نورك(أشعيائ: أصحاح58آية 827)

* ولا تسلموا الأرملة ولا اليتيم ولا الغريب ولا الفقير (زكريا: أصحاح 7آية 10)

من هذه الأمثلة التي تضمنتها صلب الديانة اليهودية نلاحظ أنها تشجع فعل الخير والإحسان للغير وتقديم يد العون للضعفاء واليتامى وهذه أفعال تدخل كلها ضمن الرعاية الاجتماعية.

ولتنظيم ذلك الإحسان أوجدت اليهودية نظام العشور، وهو تقديم عشر المحصول أو الثمار والخيرات لتوزع على الفقراء والأرامل والأيتام، كما جعل الدين اليهودي للمرضى وصفا خاصا لرعايتهم والاهتمام بالنظافة التي تقي من الأمراض.

وعموما فإن اليهودية جاءت بتعاليم ومبادئ طيبة شملت أغلب نواحي الحياة والعلاقات بين الناس، وتتمثل مظاهر الخدمة فيما يلي:

أ- **رعاية الفقراء والمحتاجين:** ورد في الشريعة الموسوية الكثير من التعاليم والوصايا الخاصة برعاية الفقراء وواجب الأغنياء نحوهم، وكان لهذه الوصايا من القوة ما دفع الأفراد على احترامهم وتنفيذها، فقد جاء على لسان موسى (ع) " إذا حصدت حصيدتك في حقلك ونسيت حزمة فلا ترجع لتأخذها –للغريب واليتيم والأرملة تكون... وعندما تحصد حصيد أرضك لا تكمل زوايا حقلك في الحصاد ولفائض حصيدك ونثار كرمك لا تلتقط للمسكين والغريب تتركه...)، هذه الآيات مهدت وحضت على الرعاية الاجتماعية إلا أن تنظيم الرعاية تصاحب مع دفع العشور.

العشور: هو نظام محكم دقيق، فعندما استولى الإسرائيليون على أرض كنعان كانوا يقدمون عشورهم للإنفاق على الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل والغرباء، ومن يقومون بجمع العشور، وقد نظمت العشور على ثلاث درجات:

العشر الأول: وهو يقدم على محصول السنة الأولى، وكنا خاصا بالأويين أي جامعي العشور.

العشر الثاني: تقدم عن العام الثاني من غلة الأرض لتوزع بمعرفة الأويين على خدام خيمة الاجتماع كما يخصص منها نسبة معينة للفقراء.

العشر الثالث: ويجيء على الأرض والحيوانات والثمار ويكون خاصا بالفقراء والمحتاجين والغرباء، والأيتام والأرامل وتوزع عليهم حسب احتياجاتهم.

كذلك نصت الشريعة الموسوية على أن الأرض تستمر زراعتها ست سنوات وفي العام السابع يكون المحصول مشتركا بين مالكي الأرض ومن يمتلك أرضا فتقسم حاصلات الأرض على الأسر بنسبة عددها (عدد أفرادها).

وكان موظفو العشور (الآويين) هم المتورطون بجمع العشور وتوزيعها وتخصصت من الحاخامات في جمعها من كل بلد ثلاثة حاخامات (اثنان للجمع والثالث للتوزيع).

ب- رعاية الأيتام والأرامل: أولت الشريعة الموسوية عنايتها باليتيم والأرملة والفقير والمسكين، ونزلت ذلك في الوصايا"لا تسيء إلى الأرملة أو اليتيم، وإن أقرضت لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي...".

ت- نظام الشورى: لم يتفرد موسى بحكم اسرائيل وحده عمل بنظام الشورى ونزلت في ذلك الآيات التالية: "فقال الرب لموسى اجمع سبعين رجلا من شيوخ بني اسرائيل، اللذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفائه واقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك ثقل الشعب فلا تحمله أنت وحدك"، وكان لاختيار هؤلاء الشيوخ (السبعين) شروط عديدة منها: أن يكون خائفين الله، أمناء وذو عزم. .. وكانت اختصاصات هذا المجلس (الشورى) تنحصر فيما يلي:

- شرح الشريعة والبت في القضايا والأحكام العامة ورسم السياسة العليا لكل جماعة بني إسرائيل.
- تعيين القضاة على اختلاف درجاتهم وعزلهم.
- وضع التشريعات التي تضمن تنفيذ برامجهم التي يضعونها.

ث- **التعليم:** أسس اليهود المدارس وقد وضعوا أسسا للتعليم منها عدم قبول الأطفال في المدارس دون سن السادسة وكان المعلم يتميز بمركز ممتاز كان يطلق عليه "حارس المدينة "نسبة إلى اهتمامه بتربية النشئ وتثقيفه، وأما الكبار فكانت أروقة الهيكل محط لطالبي العلم بها.

ج- مظاهر الرعاية الاجتماعية العمالية: اهتمت الشريعة الموسوية بتقديم الرعاية العمالية وتنظيم علاقة العامل بصاحب العمل:" لا تبيت أجر أجير عندك إلى الغد، ولا تظلم مسكينا وفقيرا من أخوتك أو من الغرباء الذين في أرضك في يومه تعطيه أجرته ولا تغرب عليه الشمس". على أن بني إسرائيل لم يحافظوا على هذه المبادئ ولم يكونوا الدولة التي ترعى هذه المبادئ كما فعل المسيحيون والمسلمون من بعد.

2-1-5- الخدمة الاجتماعية عند المسيحيين: عندما نزل الدين المسيحي سار على النهج السمح الذي نزل به الدين اليهودي، واتجهت رسالة المسيح عليه السلام إلى تطهير البشر من كل الرذائل، ومحاربة المادية البشعة التي أدت إلى تفاوت طبقي مرذول، وعودة إلى مظاهر التخلف والانحراف التي كانت تسود قبل نزول الأديان السماوية، وجاهد المسيح

عليه السلام وحوارييه لكي تعود للبشرية قيمتها الروحية، وتعود التعاليم والمبادئ السمحة ليعم العدل وينتشر الإخاء ويعيش الناس في سلام.

قامت الديانة المسيحية في مجتمع انحرف عن تعاليم دينه، إذ كان اليهود في فلسطين قد انهمكوا في عمليات تجارية لا أخلاقية جشعة تهدف إلى جمع المال بطرق غير شرعية، فأصبح ماديا أنانيا لا يهتم بالضعيف أو المحتاج بل على العكس كان الغني صاحب المال يمتص دم الفقير ويصنع منه ثروته.

أخذت المسيحية من مبادئها التماشي مع ناموس (شريعة) العهد القديم – الشريعة الموسوية – مع تكملة ما نقص منها، ويؤيد ما جاء على لسان المسيح (ع) في الإنجيل (لا تظنوا أني جئت لأنقص الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقص بل لأكمل).

والمتأمل في كثير من آيات الانجيل سوف يجد الأصول الأولى للرعاية الاجتماعية التي تتمثل في كثير من الاحكام ويعبر عنها صراحة في مظاهر مختلفة ومن هذه الآيات على سبيل المثال: "طوبى للرحماء لأنهم يرحمون" (انجيل متى الاصحاح الخامس، الآية السادسة)

" تعالى يا مباركى أبي، وثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم، لأني جعت فأطعموني، عطشت فأسقيتموني، كنت غريبا فآويتموني، عريان فكسيتموني، مريضا فزرتموني، محبوسا فأتيتم إلي، فيجيبه الابرار حينئذ قائلين: يا رب متى رأيناك غريبا فآويناك، أو عريانا فكسوناك ومتى رأيناك مريضا أو محبوسا فآتينا إليك؟ فيجيب الملك ويقول لهم الحق أقول لكم : بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم" (انجيل متى الاصحاح الخامس والعشرون الآية 34–40)

ولقد اعترفت المسيحية بنظام العشور (الصدقة) الذي كان معمولا به في العهد القديم، ولكنها عدلت فيه فأصبح للفقير حق مشروع ولذا يجب أن يساعد كإنسان، كذلك تطورت الصدقة من كونها وصية في العهد القديم إلى ركن من أركان العبادة في المسيحية، قال المسيح (ع):" الفقراء معكم في كل حين... من له ثوبان فليعط من ليس له..."،وقد عرفت الصدقة بأنها مقارضة إلهية مهما كانت بسيطة فالله يقول:" أريد رحمة لا ذبيحة وبالصدقة يقبل الصوم ومعها تقبل الصلاة... الصدقة تجلب الرحمة يوم الدين "،والصدقة تشمل المال والعقار والطعام والثياب وهي واجبة على الجميع وهي نوعان:

فردية: تعطى في الخفاء للعائلات بحيث تحفظ لها كرامتها ودون أن يعلم بها أحد وجهورية منها:

العشور: (تقديم جزء من عشرة أجزاء مما يرزق الله الإنسان وتعتبر حق للفقير لا صدقة جارية).

النذور: (كل ما ينذره الإنسان من حي أو نبات أو جماد أو إقامة ولائم يدعى لها الفقراء).

البكور: (وهي أوائل ثمار الأرض وأشجارها وإنتاج الحيوان والصوف وأجرة عمل اليدين).

الوقف الخيري: (وهوما يوقفه الإنسان في حياته أو بعدها على جهة معينة لتنتفع به دون غيرها ودون التصرف فيه بالبيع).

وجاء في الانجيل أيضا:

*بيعوا اموالكم واعطوا الصدقة.(انجيل لوقا الاصحاح 12 الآية 33)

قال يسوع: أن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني، فلما سمع الكلمة مضى حزينا لأنه ذا أموال كثيرة.(انجيل متى الأصحاح 19الآية 21،22)

أما مظاهر الخدمة الاجتماعية فتتمثل في:

أ- **رعاية الأيتام والأرامل:** أولت الديانة المسيحية جل عنايتها لليتيم والأرملة فلقد جاء في رسالة بولس للعبرانيين: "الديانة الظاهرة... هي افتقار الأيتام وللأرامل في وضعيتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس"، و"أيها الأساقفة عندما تجمعوا الغلاة قدموها للمحتاجين وفرقوها على الأخوة الأيتام والأرامل. ..".

كما أولت الديانة المسيحية أيام عيسى عليه السلام وتلاميذه وحوارييه برعاية الايتام والأرامل واعترفت ببعض النظم الاجتماعية كالتبني لليتامى والمساكين وانشاء بيوت لرعاية الغرباء " كونوا مضيفين بعضكم لبعض"

ب- **رعاية الأسرة والطفولة:** وفي مجال حماية الاسرة ورعايتها فإن الدارس لمراسيم الزواج المتأمل للوصايا سوف يجد أنها تنص على رعاية الاسرة وتماسكها.

ولما كان الزواج من أقدس وأهم مبادئ المسيحية إذ أنه سر من أسرار الكنيسة فقد جاءت الآيات التي تنظم علاقة الزوجين مثلا: " يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا. وما زوجه (جمعه) الرب لا يفرقه إنسان".

كذلك حرمت المسيحية الزواج بأكثر من امرأة واحدة، وذلك لضمان وحدة الأسرة وتكاملها، كما حثت على البر الوالدين فقد جاء في الانجيل " أيها البنون أطيعوا والديكم في كل شيء لأن هذا مرضى للرب، " " العين المستهزئة بالأب والمستخفة بالأم تفقأها غربان الوادي وتأكلها فراخ النسر"، " أيها الأولاد أطيعوا والديكم، ليكن لكل امرأته ولكل امرأة زوجها".

وقد حث الدين المسيحي على رعاية الطفولة فقال المسيح (ع): "دعوا الأولاد يأتون إلى ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السماوات ".

ت- رعاية المرضى: كانت من مهام رجال الكنيسة افتقاد المرضى وزيارتهم، ونهجت الكنيسة نهجا حسنا بفتح المستشفيات والمستوصفات وتخصص كثير من رجالها في الطب.

كما أنهم أكدوا على تسلية المريض المصاب بالاكتئاب وعلاجه بوسائل الرياضة البدنية والموسيقى والقراءة بصوت عال، وأوصوا لبعض المرضى بالغذاء الجيد والحمامات الدافئة.

ث- التعليم: اهتمت المسيحية بالتعليم كوسيلة لنشر الدين فنرى بولس يقول لتلميذه تيموموس: "علم وعظ، ولا يستهين أحد بحداثتك "، و" لا تزجر شيخا بل عظه كأب، والأحداث كأخوة والعجائز كأمهات ".

ج- المسيحية ورعاية ذوي العاهات: اهتمت المسيحية بجميع أبنائها على السواء ويقول بطرس الرسول في ذلك: "أسندوا الضعفاء". ونرى الراهب المصري ديرموس (أواخر القرن الثالث الميلادي) كان ضريرا يقوم بعمل بحث في مشكلة المعاقين (المكفوفين)، فكان أو ل من فكر في إنشاء قسم المرتلين بالكنيسة وجعل هذه الوظيفة وقفا على المكفوفين وكان يجمعهم ليحفظوا عن ظهر قلب الأناشيد الدينية.

ح- نظام القضاء: كان القضاء في أو ل الأمر يعرض على الرسل للبت فيه بحسب الشرائع ولما انقسمت الأبرشيات أسند القضاء للأسقف، وكانت هيئة المحكمة تتألف من الأسقف رئيسا، يساعده اثنان من الكهنة وشماس كمسجل للجلسة وكانت تعقد الجلسات في يوم الاثنين من كل أسبوع.

ولقد مارس المسيحيون المساعدة على أصح وجه، مدفوعين في ذلك بعاطفة حب الجار التي جعل منها المسيح قانونا ساميا.

وبذلك عمل الرهبان والراهبات بتخفيف آلام الأبدان ومساعدة الأطفال والمرضى وكان هؤلاء الرهبان والراهبات يمثلان الزائرين الصحيين أو المساعدين الاجتماعيين.

2-2- العمل الاجتماعي (الخدمة الاجتماعية) في العصور الوسطى:

2-2-1 - الخدمة الاجتماعية في الإسلام: لقد نمت في الجزيرة العربية مدينة متحضرة قبل الإسلام بمئات السنين وكان مقر هذه المدينة الركن الجنوبي من الجزيرة حيث ازدهرت مدة ألفي سنة من حوالي 1500 ق م وإلى عام 500 ق م، ومن أشهر الحضارات التي ازدهرت في ذلك الحين حضارة سبأ، ويستدل من السدود التي بنيت لحصر المياه والشبكات الواسعة التي أنشئت لتأمين الري على أن هؤلاء القوم كانوا على علم واسع بالهندسة.

وفي أوائل القرن التاسع بعد الميلاد بدت طلائع ثورة اجتماعية جديدة، حما لواءها محمد النبي العربي، وباعتناق الإسلام تولد بين العرب شعور بالتضامن من سما على المنازعات القبلية والعصبيات العشائرية، وكان نتاج ذلك مولد الأمة العربية التي منحها الدين الجديد هدفا إنسانيا ساميا، تفتحت مواهب العرب، وانطلقت قواهم المكبوتة من عقالها، وجدت حيويتهم الحبيسة منذ قرون منفذا لها في أداء رسالة رفعت الامة العربية إلى مقام الخلود ودفعت الإنسانية خطوة كبيرة إلى الامام.

تدلنا تعاليم الدين الإسلامي على أنه لم يعزل الدنيا عن الدين، ولقد رسم الإسلام السبيل لوضع أسس وقوانين لظروف الحياة الخاصة والعامة، ويدخل فيها كل ما يتصل بالنظم التشريعية التي تتمشى مع تطورات المدينة والحضارة لكل عصر ولكل زمن، كما أن الدين الإسلامي حدد ماهية الرعاية والنظم الاجتماعية وكيفيتها وأسسها وطريقة أدائها ومكافأة القائمون عليها، كما أوضح الإسلام مسؤولية الفرد الأدبية والشرعية نحو أسرته ولا سيما الوالدين والأقارب، مع توكيد على الأسرة كوحدة اجتماعية أساسية في تكوين المجتمع، وهذا ولقد سن الإسلام التشريعات الاجتماعية التي تنظم العلاقة بين الأفراد كالتشريعات الخاصة بالزواج، والطلاق، وحضانة الأطفال وحقوقهم في حالات الطلاق واليتم، كما أوضح شروط الإرث والوقف والإحسان. ..الخ.

ويمتاز الإسلام باعترافه بكرامة الفرد وحريته الشخصية واحترام حقوقه من الدولة والمجتمع كما حض الإسلام المشورة (الديمقراطية في الحكم)، ونجد الآن أن أغلب هذه المبادئ يعد أساسا في نظم الخدمة الاجتماعية الحديثة.

وفي الإسلام فإن الرعاية الاجتماعية فيه تعتمد على مبدأ التكافل الاجتماعي، فهو يقرر أن المحتاج إلى الرعاية تقع مسؤولية رعايته على المجتمع وللفرد حق المطالبة بها والتقاضي بشأنها، إذ جعل الإسلام كفالة المحتاج على أفراد أسرته مسؤولية مقررة سواء كان طفلا أو أرملة أو مطلقة أو عاجز عن الكسب، فإذا عجزت الأسرة عن هذه الكفالة انتقلت المسؤولية للدولة التي تتكفل برعاية المحتاج، ولم يجعل الإنسان هذه الكفالة تصدق أو إحسانا ولكنه أوجبها قانونا بحيث يكون للمحتاج حقا مفروضا

ولقد بلغت فكرة الزكاة في الإسلام أوج عظمتها إذ تمثل إحدى قواعد الإسلام الخمس (الإيمان بالله، الزكاة الصوم، الحج) حيث جعل الإسلام الزكاة ضريبة يدفعها الغني للفقير، فهي حق للفقير في مال الغني، يأخذها الفقير بدون إذلال ولا إهانة، وهي مصدر عيش دائم أو منتظم للفقير، وليست الزكاة هي مصدر العيش الوحيد لدى الفقير، بل هناك الصدقة والهبة وإعانات كثيرة ومتنوعة يأمر بها الإسلام لإعانة الفقراء، كما يأمر حكام الأمة بالتكفل بالمحتاجين ومساعدتهم من الناحية الاجتماعية والتربوية والثقافية والاقتصادية والنفسية والصحية والروحية.

ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم، القائد الأمثل في الحرص على تطبيق ما جاء في القرآن الكريم، من تأسيس العدالة والإحسان وخدمة البشرية في جميع النواحي، فهو **صلى الله عليه وسلم** القائل: "**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**" والقائل: «**ليس منا من بات شبعان وجاره جائع**".

وكان **عمر بن الخطاب** أبرز الشخصيات في الخدمات الاجتماعية، فكان يعتني بالفقراء والمساكين ويتفقد أحوالهم، كما أن ميزة أصحابه في أعمال المواساة ومقاومة الفقر والآمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعتبر مواقف يفخر بها التاريخ الإسلامي.

والتاريخ الإسلامي حافل بأعمال البر فقد عني **عبد الملك بن مروان** بالمجذومين والضعفاء كما سعى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في تحسين حالة العميان، وقد جعل لكل واحد منهم قائدا على نفقته، كما جعل لكل مقعد خادما، وفي ظل السياسة الشرعية، فلقد احتاج الأمر إلى تشريع جميع الأحوال الجديدة فظهر في منتصف القرن الثاني للهجرة: تشريع **أبي حنيفة**، وقد اشتمل على بعض النصوص الخاصة بمسؤولية الدولة عن بعض رعاياها. ومن أمثلة ذلك أن المادة **364** تنص على أنه "إذا لم يكن للقيط مال ولا أدعى أحد نسبه ورفض الملتقط الإنفاق عليه وبرهن على كونه لقيطا، فإنه يخصص له راتب من بيت مال المسلمين ما يحتاج إليه من نفقة وكسوة وسكن ودواء إذا مرض ومهر إذا زوجه القاضي، ويكون إرثه ولودية لبيت المال". وتنص المادة **413على** "وجوب نفقة الشيخ الكبير والمريض على بيت مال المسلمين عند عدم وجود قريب يعولهم ".

وتنص المادة **541** على أنه "تجوز الوصية للمساجد والمستشفيات والمدارس، كما تجوز لأعمال البر والتصرف في طرق الخير، ومنها بناء الجسور والمساجد والمعاملين عليها وطلبة العلم".

كما عرف الأطباء المسلمين المرض النفسي، وكانت المستشفيات تضم أجنحة للأمراض العقلية والعصبية، ووضع بعض الأطباء المسلمون رسائل في الأمراض النفسية **فابن نمراص** وضع كتاب في الماليخوليا، وكتب **ابن الهيثم** عن تأثير الموسيقى في الإنسان والحيوان ويعني **الرازي** رائد الطب النفسي حيث قال: "على الطبيب أن يرجى (يمني) مريضه بالشفاء وحتى لو كان ميؤوسا منه، فإن مزاج الجسم نابع من مزاج النفس واستطاع **ابن سينا** أن يكتشف الصلة بين الجسم والنفس وأورد في كتابه "القانون" قصة طريفة عن شاب قريب لأحد الحكام مرض بشدة واستطاع ابن سينا أن يجس نبض المريض وأن يتعرف على أن الشاب عاشق لفتاة معينة وعالجه".

أما مظاهر الرعاية الاجتماعية فتتمثل في:

رعاية الفقراء والمحتاجين عن طريق الزكاة: والتي هي ركن من أركان الإسلام...والزكاة حق مفروض بقوة الإسلام مقدر في المال بحساب معلوم، وسميت بهذا الاسم لأنها تزكي المال والنفس **قال تعالي** "**حذ من أموالهم صدقة تطهرهم**

وتزكيهم " **صدق الله العظيم**، وهي فرض على كل مسلم يملك نصاب الزكاة، وهي واجبة على المال النامي، وشعور الفرد بأهمية الزكاة يجعله يكافح(حث على العمل) لكي ينمي ماله حتى لا تذهب به الزكاة ولقوله عليه السلام (**اتجروا في مال اليتيم حتى لا تأكله الصدقة**)، ويكفى لأهميتها ولحكمة الله في خلقه أن جعلها تعالي أحد أركان الإسلام.

والزكاة أنواع كثيرة منها زكاة النقد والسوائم (الإبل والغنم والبقر. ..الخ)، وزكاة عروض التجارة وزكاة الزرع والثمار. ..الخ.

وتوزع أموال الزكاة على ثمانية أنواع من الناس، وهم الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم: " **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين، وفي سبيل الله وإبن السبيل فريضة من الله والله عليكم حكيم** ". **سورة التوبة الآية 60.**

الصدقات: ومنها صدقة الفطر التي توفر للفرد الفقير فرص الاعاشة وعدم الشعور بالعوز والحاجة في أيام العيد، وتحول دون نظرة الحسد للأغنياء والقادرين، وبث روح التآخي فيما بينهم بالإضافة إلى الصدقات بصفة عامة التي تؤكد على إحساس الفرد بالمسئولية في المجتمع دون جبرية إلا الوازع الديني واكتساب المثوبة في الآخرة " **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا**" **صدق الله العظيم**، بل أن الله سبحانه وتعالى جعل الصدقة طوق نجاة من التهلكة لقوله جل شأنه" **وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة واحسنوا إن الله يجب المحسنين**" **آية 194سورة البقرة** . وهي سلوك مرغوب فيه يؤكد عليه المولى بالنسبة للعامة كل حسب مقدرته، وهي أيضا انماء للمال بطريقة غير مباشرة وتكفير للمعاصي حيث أننا نجد رسول الله عليه السلام يقول:" **ما نقص مال من صدقة**"، " **والصدقة تطفئ المعصية**" **صدق الرسول الكريم...**، بل إننا نجد أن الله سبحانه وتعالى قد حدد الفئات التي لها الأولوية في الصدقات، " **قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين، واليتامى والمساكين وابن السبيل**" **ويقول أيضا سبحانه**" **يأيها اللذين آمنوا انفقوا من طيبات ما رزقناكم**" أي أن الانسان عليه أن ينتقى في الصدقات ما يقدمه، بل عليه أن يختار أطيب ما لديه لكي يتصدق منه لأنه لا يمن على الآخرين بذلك ولكنه ينمى ماله ويزكيه، وفي نفس الوقت يستثمر هذا العطاء لينال الجزاء في الآخرة ولأنه يخرجه لوجه الله تعالى وهو أحق بأن يقدم له كل طيب وكريم.

ونج أن الله سبحانه وتعالى أيضا يحفظ للفقير كرامته ولذلك يحدد طرقة العطاء بالنسبة للصدقات " **أن تبدوا الصدقات فنعما هي، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم، ويكفر عنكم سيئاتكم**" **صدق الله العظيم**، أي أن الصدقة إن كانت ظاهرة فلابد وأن يكون الغرض منها القدوة ليس أكثر، ومن الأفضل أن تكون سرا للحفاظ على كرامة من يحصل عليها، لأن من يتصدق هو يخرج الصدقة لوجه الله" **يأيها اللذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى**" صدق الله العظيم، ويجعل من التفاخر والتباهي فيها أو المن بها على الفقير موازيا لانعدام الثواب عليها تماما، ويدخل ضمن الصدقات، – صدقات مناسك الحج و صدقة الاضحية، وهناك حديث للنبي صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه" **من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا** " أي يكون مآله البعد عن صحبة رسول الله وأن تذهب عنه فضيلة صلاة الجماعة.

الكفارات والنذور والاوقاف: والكفارات هي تكفير من الآثام التي ارتكبها الانسان في حق الله سبحانه وتعالى، كالإفطار في رمضان وعدم القدرة على الوفاء بهذا الالتزام مستقبلا (إذا كان الإفطار عن عجز، أو من تعمد الإفطار في رمضان، ومن حنث في يمينه" مع أن الله سبحانه وتعالى يأمرنا بألا نجعله عرضة لأيماننا، وكفارة عدم اكتمال أحد أركان الحج.

أما النذور فهي صدقات معلقة بشرط طمعا في إجابة الله لمسألة ما، وهي واجبة الأداء ما تحقق الشرط " وما انفقتم من صدقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار أي أن النذور واجبة الأداء حتى ولو لم تكن معلنة أمام الآخرين.

أما الأوقاف فهي صدقة جارية سواء مال أو عقار أو أراضي أو ما شابه، وهي لا تباع ولا تورث ولا توهب ولكن لا جناح على من يتولى شئونها أن يأكل منها لمعروف " ان يحصل على مقابل إدارته لها"، وفي المجتمعات الحديثة نجد أن وزارة الأوقاف هي الجهة المنوط بها إدارة هذه المشروعات والتأكيد من وصول ريعها إلى مستحقيه.

ولكن على الرغم من وجود صنوف الرعاية المختلفة التي كفلها الإسلام للأفراد المحتاجين ليكونوا في كنف القادرين والأغنياء، إلا أنه في نفس الوقت يؤكد على مبدأ الإعالة الذاتية، والحث على العمل وعدم الاتكالية، فيقول الله عز من قائل" **إن الله لا يضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى**" كما يؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الاتجاه أيضا" لأن يحتطب أحدكم بفأسه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه" وهذه كلها اتجاهات تؤكد أهمية العمل والإعالة الذاتية قبل أن تفطن إلى هذا المبدأ الحضارة الغربية بزمن بعيد.

الارحام أولى ببعض" وقوله تعالى " فآت ذا القربى داخل الأسرة لقوله تعالى "و أولى **نفقة الأقارب:** وهي تضمن التكافل حقه" صدق الله العظيم– وقد حدد علماء المذاهب ما هو مقصود بالأقارب، وربما الغالب الأخذ به هو رأي الامام أحمد بن حنبل حيث يرى أن القرابة تشمل كل من يرث الفقير العاجز عن الكسب إذا مات غنيا، وجب نفقته في حال عجزه، وذلك من منطلق أن الحقوق متبادلة ونجد أن نفقة القريب تشترط حاجته، وعدم قدرته على العمل حتى لا تكون مدعاة للاتكالية على الآخرين ولو كانوا أغنياء، ولا يتكفل الموسر بالنفقة على أقاربه إلا إذا كان موسورا في غير نفقة الأبوين على أبنائهما ونفقة الابن على والديه.

ويقرر الفقهاء أنه في حالة عدم وجود قريب غني للفقير العاجز عن العمل فإن نفقته تكون واجبة على الدولة.

و النفقة هي عبارة عن كل ما قرره الإسلام من أموال يدفعها الموسرين (الأغنياء) إلى ذوي قرباهم الذين هم في حاجة إليها، والقرابة نوعان:

* قرابة الولادة (وتشمل كل أصول الشخص وفروعه).

* قرابة غير الولادة (وتشمل القرابة المحرمة للزواج كالإخوة والعمومة والأخوال وبين الأعمام وبين الأخوال والفرد ملزم بالنفقة لجميع هؤلاء الأقارب في حالة احتياجهم ما عدا أبناء الأعمام وأبناء الأخوال.

نفقة الزوجة على زوجها : وتعتبر نفقة الزوجة واجبة في حق الزوج طالما أنها تقوم بواجباتها المنزلية وترعى شئون الأسرة، وهذا يعتبر نوعا من العدالة وتبادل الحقوق والواجبات. وتعتبر نفقة الزوجة المسكن والمأكل والملبس حسب مقدرة الزوج بصرف النظر عن مدى ما تتمتع به الزوجة من وفرة في المال أو العقار الخاص بها، والزوج يتكفل بزوجته مادامت في عصمته، هذا بالإضافة إلى التزامه بالنفقة على مطلقته مادامت في فترة العدة لأنها فترة مكملة لعلاقة الزواج، بل أن المطلقة طلاقا رجعيا لها أن تبقى في بيت زوجها لعل هذا يسهل لهما العودة من جديد واستئناف الحياة الزوجية، وإذا لم يوفقهما الله إلى العودة فهي تستحق نفقة لمدة عام وهي فترة تعتبر انتقالية لحين أن تستطيع الزواج بآخر أو تستطيع اعالة

نفسها هذا بالإضافة إلى نفقة الأبناء على الزوج طالما كانوا في رعاية الام وفي كنفها ولحين بلوغهم السن التي يمكن أن يلتحقوا بها بالأب.

والإسلام يعتبر أن من حق الأفراد على الدولة أن تسدي إليهم المعونة وقت الحاجة والنفقة وتكون على بيت المال الذي يدخل في تكوين ماليته الزكاة. والنفقة أيام الإسلام الأول، كانت تتبع المستوى الفردي يعني ليست مجرد تكاليف الطعام والملبس والمسكن، بل إنها راعت الظروف الاجتماعية والثقافية للمحتاج من تكاليف تعليم ونوع الحياة التي يعيشها وترتيب المستحقين يكون بالأقرب أولا بالنسبة للنفقة.

الوراثة، ولكن يستغل إيراده على الوهب أو **الوقف الخيري**: الوقف هو حبس جزء من الملك عن التصرف فيه بالبيع أو الصرف لأحد أوجه البر والخير كالإنفاق على الفقراء والمساكين والشيوخ والعجزة أو الأيتام والأرامل أو يصرف على المستشفيات أو على المدارس...الخ، ولقد أدى هذا النظام من نظم الإسلام خدمات اجتماعية لا توصف. فوقفت الثروات الطائلة على المساجد والمدارس والمستشفيات والزوايا ورصدت أموال في بيوت المال أو بيوت القضاء لإغاثة الملهوف ومساعدة الشيوخ والعجزة وإيوائهم وإعانة المسافر...الخ.

الإسلام والشورى: يمتاز الإسلام بأنه يقوم على مثل عليا من أخلاق وفضائل وحرية فردية، وجاء الإسلام بمبدأ الشورى وهو عبارة عن استطلاع الرأي الشعبي أو ما يسمى الآن بالانتخابات العامة، والمقصود بالشورى هو التعرف على حاجات الشعب ومواجهتها بما يلاءم الحياة الاجتماعية.

الإسلام والرعاية الصحية: وهذا يتمثل بإنشاء المستشفيات ومراكز التعليم الطبي، وهذا شكل آخر من الرعاية الاجتماعية الصحية.

الإسلام والتعليم: عني الإسلام بالتعليم أشد عناية، فلقد أنشئت الكتاتيب لتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن للصغار. وكذلك أنشأت الكليات مثل المدرسة النظامية. ..الخ.

الإسلام والأمومة والطفولة: اهتم الإسلام بكفالة الطفل وحدد معاني العناية بالجنين قبل ولادته وبحضانته وتربيته والمحافظة على ثروته، ولقد حرم الإسلام الإجهاض إلا في حالات معينة (كمرض الأم مثلا). وتظهر عناية الإسلام بالأم الحامل بأن أجاز لها أن تنقص ركنا من أركان الإسلام وهو الصوم، كذلك شرع الإسلام أن ترضع الأم طفلها مدة حولين كاملين...الخ.

وهكذا نرى أن الإسلام قد وازن في أسلوب الرعاية الاجتماعية ما بين سن تشريعات اجتماعية من رعاية حكومية وبين حثه على قيام مؤسسات أهلية تمول عن طريق وقف الأموال على وسائل الرعاية التعليمية والصحية.

الميراث: ونجد أن الميراث عملية جبرية بالنسبة للموروث وليس له سلطان على ماله بعد وفاته إلا في حدود وصية يوصى بها، وبشرط ألا تزيد على ثلث التركة. ولقد تولى التشريع السماوي توزيع التركة سواء كلها أو ما تبقى بعد الوصية بطريقة تحول دون خروج التركة عن نطاق الاسرة أو العائلة بدرجات تتفق القرابة بالنسبة للموروث.

والتشريع السماوي بالنسبة لتوزيع التركة قائم على حكمة إلهية لأن الله سبحانه وتعالى أدرى بخلقه. ولن نناقش الانصبة بالنسبة للوارثين حسب القرب أو البعد من المورث ولكن نناقش حكمة الله سبحانه وتعالى يرى عدم تكدس التركة في أيدي ورثة بعينهم، لأننا نجد أن الأولاد مثلا وهم أقرب علاقة بالمورث لن يكون نصيبهم أكثر عن نصف التركة بعد توزيع

الأنصبة الخاصة بالوالدين أو الزوجة، والأمر الثاني هو أن النصيب في التركة يكون على أساس الحاجة، فمثلا: نجد أن نصيب الابن الذكر ضعف الأنثى على أساس أن الرجل وكلت برعايته الزوجة أو الأخت، ولو تساوت الأنصبة على عبء التكليف على الرجل لكان ذلك بمثابة غبن وعدم عدالة. وهذه النظرة فيها تكريم للزوجة والابنة والاخت وليست تقلل من شأنها وسبحانه أدرى بخلقه.

– **رعاية الايتام:** لقد حظيت رعاية الأيتام بالاهتمام في التشريع الإسلامي الحنيف ويلاحظ ذلك من خلال العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤكد على الاهتمام باليتيم وايوائه، والنهي عن أكل ماله والعمل على استثمار أمواله لحين بلوغه من العمر ما يسمح له بالتصرف الرشيد فيها.

– **الجوار** : " **مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**" صدق الرسول الكريم وتأكيد من المولى عزوجل بالإحسان إلى الجار ذو القربى أو الجار الجنب، وفي هذا احقاقا لحق الجار على جاره واعطائه الأولوية في الرعاية بما يحقق التكافل والامن، ونزع الحقد أو الحسد بل يحل مكانه تمنى الخير للآخرين ينعكس أثره عليه بطريقة غير مباشرة.